النهار
الأحد ١ أيلول ٢٠٠٢

شعبك عظيم يا أخي
رسالة الى فاروق مردم بك

أخي الحبيب فاروق،
آمل ان تكون وجدت في العدد الدمشقي ل"الملحق" ما يطمئنك الى دمشقك الحبيبة. قد تكون كلمة الاطمئنان كلمة كبيرة، فالشام ليست بخير، ولا هم اهلها. ولكني، مع ذلك، لا انفك اكرّر في قرارة نفسي منذ ان فرغت من قراءة محتويات هذا العدد: شعبك عظيم يا فاروق. مثلما ترى، لقد استبطنت العبارة التي تردّدها انت على الدوام، في معظم الاحيان للتندّر من جماعة من العرب ساءك تصرّفهم، ولكن ايضاً في المناسبات النادرة التي تبعث على الاعتزاز. هنا، مناسبات الاعتزاز شحّت، وفرص التندّر تتوافر كل ساعة، لا بد ان الامر قد بلغك في اقامتك الباريسية. لكني هذا الاسبوع، لم افكر قط بالتندّر، فقد ملأني سؤال "الربيع" في "الملحق" فخراً. والله، شعبك عظيم، يا اخي، بل عظيم مرتين، مرة في بلدك انت الذي لم يكلّ من طرق باب الخروج من مملكة الصمت، واخرى في "الوطن الصغير"، كما لا زلت تحب ان تسميه، حيث يبقى للصمت حدود. يعني، لو لم اكن اخشى اسفزازك، لقلت ان حقاً ما خلفه الله بين سوريا ولبنان لا يفكّه انسان، ولا حتى صاحب الشعار المأثور، فكيف بطيفه.

لا يغيب عني طبعاً، يا اخي، ان قراءة هذه المجموعة من النصوص، فضلاً عن رسوم عزيزنا يوسف، قد تثير في المرء انطباعات مغايرة، فتغلّب اليأس والالم من رؤية بلد بمثل عراقة سوريا وثرائها ينوء في بداية القرن الحادي والعشرين تحت وطأة آلة سلطوية لا نظير لها في العالم سوى في حالتين او ثلاث. واني لأفهم الغضب المبطّن الذي حرّك قلم صديقنا عمر اميرالاي. لكنك تعرف اني مثلك افضّل دائماً النصف الملآن من الكوب، وخصوصاً عندما يتعلق الامر بفلسطين او بسوريا. والنصف الملآن، في حال سوريا، يكمن في هذا النبض الذي نجح عدد من المثقفين في إنقاذه من دمار الانقلاب، وحالوا دون سكبه وقوداً للثأر والانقلاب على الانقلاب، وظلوا يتمسكون به خيطاً الى الحياة عندما تجدّد الانقلاب.

لن ادخل في تفاصيل هذا العدد، فأنا على يقين اننا نتشاطر الملاحظات والتحفظات نفسها حيال هذا النص او ذاك، وهي في اي حال ملاحظات وتحفظات تفصيلية في ازاء المشروع الكبير الذي رأيته حاضراً في النصوص جميعاً، مثلما كان حاضراً في بيان ال٩٩ مثقفاً وفي كل النشاطات التي دفع تكاثرها الى الحديث عن "ربيع دمشق". انه مشروع العودة الى حياة عادية، يكون فيها حتى رجال السياسة اناساً عاديين، كما كنت تقول انت حين تتطلع الى لحظة لا تعود فيها السلطة مسرحاً لأدوار البطولة.

اذكر حتى انك تفاجيء اصدقاءك بذكرك اسم رجل سياسي اقل ما يقال فيه انه وضيع الذكاء ولم يترك اثراً كبيراً، فتسأل: "ماذا يضيرنا لو كان رئيس الجمهورية السورية من نمط ج.ك،؟ والله

النهار
الأحد ١ أيلول ٢٠٠٢

افضل". بربّك كيف خطر على بالك ج.ك. النائب والوزير اللبناني السابق الذي كنت قد انتخبته في سرّك ليكون القدوة في تغليب الحياة العادية، وإن "تافهة"، على البطولات المزعومة.

اعرف ان العودة الى حياة عادية تتطلب جهداً غير عادي. اخواننا المثقفون في سوريا بذلوه على ما اعتقد، ولا يزالون. واكثر ما يستوقفني في هذا الجهد ما ينطوي عليه من عضّ على الجراح تغليباً للرشد والحذر.

اعرف ان الكثيرين من جنسنا، نحن اهل التشكيك الدائم، انزعجوا في تلك الاشهر الثمانية التي شهدت بدايات انفتاح خجول، مما اعتبروه تسويات ومهادنات، وقد ذهب البعض الى وصمها بالوصولية. لحسن الحظ، لقد تجاوزنا هذه المرحلة. لا تكرهوا شيئاً... فإذا كان من إيجابية واحدة، وهي طبعاً غير مقصودة، في تجدّد الانقلاب، فهي انه سوّى بين الجميع، ولم يقم اي اعتبار لمن اتهم زوراً بالمهادنة. لذا، فإني لا ارى في مسعى الرشد الذي يطبع خطاب المثقفين السوريين، والذي ربما يطغى اكثر الآن، ما يستتبع التشكيك، حتى اذا حملت بعض صفحات "الملحق" الدمشقي اصداءً لمحاولات التسوية التي جرّبت في حينها، وقد تجرّب مجدداً غداً. وعندي ان منطق الرشد عند المثقفين، والذي يلامس في بعض تلاوينه الحذر الارسطوطاليسي، هو مدماك اساسي في مسيرة تحقق حلم العودة الى الحياة العادية التي تستحقها سوريا.

لعلك تذكر، يا فاروق، ان اول ما كتبه اخوك في "النهار" عندما حصل التحول البيولوجي الذي اعتبرناه مدخلاً الى تحول سياسي اشمل، حمل عنوان "سوريا تستحق". وانت تعرف اكثر من غيرك ان هذا الشعور عندي وعند الكثيرين غيري ليس وظيفياً، وان ما تستحقه سوريا، وهي لا تستأهل الا الافضل، تستحقه لذاتها، لتاريخها، لناسها. لا انكر بالتأكيد ان عروبة التواصل (وهي غير عروبة القطع والقطيعة) تدفع الى التعويل على انتقال عدوى الافضل من بلد الى آخر. ولكن، اذا كنت عروة العروبة، والمشرقية منها تحديداً، تتيح إطلاق الرهانات الجيوسياسية، فإنها فوق ذلك، بل قيل ذلك، ما يدفع الى التماهي مع معاناة بعضنا البعض، فيجعلنا، كما نقول بالعامية، نشعر مع اهلنا في الداخل السوري مثلما ما نشعر مع اهلنا في الداخل الفلسطيني، ومثلما يؤمل ان يشعر اهلنا اولئك مع اهلهم في الداخل اللبناني، وإن يكن ساحلاً. لذا، فإن العتب الذي سأسوقه، وإن يكن عند البعض هنا يحمل طابعاً لبنانوياً (لا أشاطره لكني أتفهم شرعيته)، هو بالنسبة اليّ عتب سياسي ومنهجي. مصدر العتب، كما لا بد انك حزرت، هو الغياب الكامل للبنان في ما كتبه اربعة عشر مثقفاً سورياً ضمن عدد خاص عن سوريا تصدره مطبوعة لبنانية. لست اقصد الغزل على منوال العرفان بالجميل او اي شيء من هذا القبيل – فنحن لا نقوم الا بواجبنا حيال انفسنا – بل تعيين خلل في نظرة الداخل السوري الى مستقبله. اسارع الى القول اني لا اجهل حضور لبنان وقضاياه في ذهن اخواننا المثقفين السوريين حين نلتقيهم فرادى. واعتقد صدقاً ان الزمن قد ولّى حين كنت تأخذ فيه انت على المعارضين في بلدك انهم ينزعون الى التصرف مثل اهل النظام متى يأتي الامر الى لبنان. الا ان غياب لبنان عندما يجتمعون لا يعني سوى عدم اكتمال الصورة التي يكوّنونها عن نضالهم من اجل غد سوري افضل. فبعض النظر عما ستؤول اليه العلاقات بين البلدين التوأمين عندما ستعود سوريا الى طبيعتها، كيف يغيب عن زملائنا واحبائنا ان "تمييز" تلك العلاقات راهناً وطبعها قسراً بالتلازم هما من العوارض المرضية التي تعانيها سوريا قبل لبنان؟

النهار
الأحد ١ أيلول ٢٠٠٢

هل تذكر، يا اخي، عندما كنا نكتب عن ازمة الامبراطورية الفرنسية في المغرب العربي كيف استوقفتنا مقولة ريمون آرون حول الربط بين تحديث فرنسا وتخليها عن دورها الاستعماري؟ ليس في التاريخ من تشبيهات مطلقة، اقرّ معك بذلك. ولكن الا ترى مثلي ان تحديث سوريا هو ايضاً رهن بتخلي الحكم فيها عن اوهام "الموقع"، وابرز تجلياتها نظام الحماية المفروض في لبنان؟ اليس شرطاً لعودة سوريا الى حياة عادية ان يعود معها لبنان؟

ولا احكي عن استحالة الإصلاح الاقتصادي في سوريا ما دام كل اقتصادها غير المنظور يدار في لبنان، حيث للمافيات حماية الامر الواقع. للمناسبة، لقد شاهدت أخيراً للمرة العشرين فيلم "العراب" في جزءيه الاول والثاني.

لعمري، لم تكن يوماً نصيحتك باستخدام هذه الرائعة السينمائية لاستقراء راهن الشام ادقّ مما هي اليوم. ولعل ما نشهده يعطي اهمية مضاعفة للجزء الثاني من فيلم فرنسيس فورد كوبولا، حيث تداول الاجيال والتوسع الجغرافي. يا ليتك تجدد النصيحة لإخواننا وزملائنا علّهم يعوّضون عما غاب.

أتراها القربى لا تساعد في التمييز بين ما هو سائد وما يجب ان يسود، ام هو القرب الشديد الذي يحجب الافق الأبعد عن النظر. في الحالين، قد تستطيعون المساعدة، انتم في الغربة. وربما كانت مساهمتكم الاساسية تكمن هنا، في استكمال الرؤية نحو استعادة غد عادي، يعني اجمل.

لا تقلق، ليست المهمة صعبة. فشعبك عظيم يا اخي، ولا بد ان يفهم. وفي البلدين التوأمين معاً.

وفي انتظار ان يحين أوان الورد في دمشق ونحتفل معاً بحرية رياضها، دمت لاخيك.

سمير قصير

النهار
الأحد ١ أيلول ٢٠٠٢

Id-Reference	**02-Pr-000520**	
Media	**(Support)**	HC
Title		شعبك عظيم يا أخي
Subtitle		رسالة الى فاروق مردم بك
Section		
Language		عربي
Source		ملحق النهار
Page		٤ 4
Date		١ أيلول ٢٠٠٢ 01/09/2002
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	فاروق.مردم.بك – عمر.أميرالاي – ريمون.آرون – فرنسيس.فورد.كوبولا
	Locations	لبنان – سوريا – فلسطين – فرنسا
	Dates	
	Themes	فاروق.مردم.بك – سمير.قصير – رسالة.إلى.فاروق.مردم.بك – ربيع.دمشق – سوريا.نظام – معارضة.سورية – عروبة – فرنسا – نظام.حماية.سورية.لبنان – لبنان – مثقفون.سوريون – خطاب – سوريا – علاقات.لبنانية.سورية – ملحق.نهار – عدد.دمشقي – بيان.ال.٩٩.مثقفاً – ملحق.دمشقي – وصاية.سورية
Subject		